الوظيفة الحجاجية للبلاغة القرآنية
في سورة إبراهيم – عليه السلام

The Function of Argumentation of Quranic in Surat Ibrahim

حمزة نايلي دواودة[1]

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة العلامة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري
hamzanaili078@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/06/15 القبول 2021/07/03 النشر على الخط 2021/10/30
Received 15/06/2020 Accepted 03/07/2021 Published online 30/10/2021

ملخص:

يهدف المقال إلى الوقوف على الوظيفة الحجاجية للبلاغة القرآنية باعتبار أنّ القرآن الكريم لم يقتصر في إقامة حججه وبراهينه على طريقة واحدة بل تنوعت طرائق عرضها لتكون ألزم للحجة ،وأدعى إلى القبول والملائمة لكل عقل بشري وحالة نفسية ،لكل زمان ومكان ،والمتأمل للقرآن الكريم يجده قد سلك في إقامة حججه عدة طرائق رئيسية منها الأساليب البلاغية،وقامت الدراسة على المنهج الوصفي في بيان الآليات والأساليب الحجاجية في سورة إبراهيم عليه السلام.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم ، الحجاج ، البلاغة العربية، الإقناع.

Abstract:

The article aims to identify the argumentative function of Qur'anic rhetoric, considering that the holy Qur'an didn't limit establishing its arguments and proofs on one way only , but on various methods which makes it closer to the argument with more acceptance and suitability for every human mind and psychological state, for every time and place, contemplative of the Holy Qur'an finds that in making its arguments it has used several main ways, including the rhetorical methods and the study was based on the descriptive method of explaining the mechanisms and arguments in Surat Ibrahim, peace be upon him.

Keywords: The Noble Qur'an, arguments, Arabic rhetoric, persuasion.

[1]– المؤلف المرسل: حمزة نايلي دواودة البريد الإلكتروني: hamzanaili078@gmail.com

1. مقدمة:

إن بلاغة القرآن ليست فنونا بلاغية فحسب، وإنما هي بناء محكم تألف من مواد هي نفسها التي تألف منها كلام العرب- لكن تأليف القرآن ونظمه على درجة عالية لم يبلغها أرقى ما عرف العرب من الكلام،ويعين علم البلاغة على فهم أسرار القرآن والاشتغال بالتفسير،وهكذا اكتسب علم البلاغة قيمته الدينية بين علوم الإسلام والعربية ،فدراسة وجوه البلاغة تؤهل صاحبها للوقوف على روعة النظم القرآني وبذوق جماله وبعده الحجاجي ،لأن التركيب البلاغي القرآني أخرج الفنون البلاغية إلى درجة معجزة يستحيل الوصول إليها كما أخرج ألفاظ العرب في صورة جديدة لم يستطيعوا الإتيان بمثلها، إن الدراسة تستهدف التأكيد– كذلك –على أن الحِجَاج القرآني هو حجاج بلاغي مُبِين، وخطاب يراعي أحوال المخاطبين ؛ ذلك أنّ الوقوف على حجاجية النص القرآني _ بما قدّمه لنا من صور بيانية ومحسنات بديعية_ يتيح للعقول السموّ بالأفكار إلى إدراك قداسة الرسالة النبيلة للخطاب القرآني ،وقد اقتضت طبيعة الدراسة الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي بالتحليل الحجاجي للصور البيانية والمحسنات البديعية في سورة إبراهيم عليه السلام ؛لأنّ المنهج الوصفي التحليلي هو الأنسب لهذا النوع من البحوث من حيث وصف الظواهر الحجاجية الكامنة في البلاغة القرآنية,وتحليل الشواهد وفق آليات النظرية الحجاجية ،وهو ما نحاول الوقوف عليه من خلال سورة إبراهيم عليه السلام ،فكيف تجلت الوظيفة الحجاجية في سورة إبراهيم من خلال البلاغة القرآنية ؟.

2.خصائص الحجاج في الخطاب القرآني:

يتميز الخطاب الحجاجي في القرآن الكريم بجملة من الخصائص وسنسلط الضوء على أهمها وهي كالتالي:

1.2 متانة وإحكام الحجج :قامت حجج وبراهين القرآن الكريم " على أسس متينة من الجودة والإحكام سواء أكان في نظمها وتراكيبها أم في صحة مقدماتها ونتائجها وبعد مراميها في معالجة أدواء القلوب وإصلاح المجتمعات الإنسانية " ([1]).

2.2 إعجاز القرآن الكريم : لأن الحجاج غايته استمالة عقول الآخرين والتأثير فيهم ،فهو آلية من آليات البيان لأن " حسن البيان في الكلام على مراتب ، فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع ويسهل على اللسان وتتقبله النفس تقبل البرد ،وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة ،ومن أجل ذلك كان الحجاج في القرآن الكريم هو من إعجازه ، وقد قال الباحث علي سلمان : " إعجاز القرآن لا يمكن أن يكون بنظمه كما هو عند عبد القاهر الجرجاني لأن النّظم جمهوره ضيّق ، وإنما هو في ما اشتمل عليه من ضروب الحجاج ، فالحجاج جمهوره مهما ضاق كوني دائما ، وآية ذلك أنّ ما يربط بين الجمهورين الخاص والكوني هو عماد الخطاب الحجاجي. ([2])

1. الجدل في القرآن الكريم ، خصائصه ودلالاته ، مذكرة ماجستير ، جامعة الجزائر ، 2004 – 2005 ، ص : 80.
2. علي سلمان ، النظرية الحجاجية في البلاغة العربية تكاد تكون مفقودة ، صحيفة الوسط البحرينية ، العدد : 2750 ، مارس 2010 .

إذن وجه الإعجاز فيه هو أنه موجّه إلى جمهورين في الوقت نفسه الجمهور الضيّق ﴿يا أيها الذين آمنوا...﴾﴿يا أيها الكافرون...﴾ والجمهور العام ﴿يا أيها الإنسان...﴾ معا .

3.2 مخاطبة كافة الناس حسب مداركهم : إن القارئ للقرآن الكريم والمتبصّر في أدلته يلاحظ أن حججه تتجّه إلى توجيه أنظارهم إلى حقائق الأشياء ،وما في الكون من عبر للاستدلال على أصول العقائد كتوحيده سبحانه في ألوهيته ،والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، إضافة إلى الدعوة إلى مكارم الأخلاق ،فجاء مخاطبا الناس أجمعين باختلاف مداركهم ومستوياتهم وأشكالهم ،وألوانهم وتعدد نزعاتهم ،ولم تقتصر دعوته على جيل معيّن ، لذلك فهو يصل إلى الجميع وينفعهم بما فيه من الأدلة والمناهج العقلية.

2. 4 مخاطبة العقل والعاطفة والحس : قسّم محمد التومي الناس إلى أصناف ثلاثة فتفاوت فطر الناس أدّى إلى تفاوت في استعمال وسائل الإقناع :

الصنف الأول سهل المراس والقبول والاقتناع ، تفكيره أقرب إلى الفطرة ،وعليه" فليس من الحكمة أن يخاطب بتفكير فلسفي ،ولا بأسلوب علمي جاف وإنما يخاطب بأسلوب سلس يغذي الفطرة ويشّد الوجدان ويأخذ الألباب ،وبأسلوب التقت فيه سياسة البيان وبلاغته بقوة الحق " ([1]) ،وهؤلاء يتأثرون بالعاطفة والإحساس .

أما الصنف الثاني فهم الذين غلب عليهم مذهب ديني أو مبدأ إيديولوجي دافعه التعصّب و"التعصّب يعمي ويصم ويجعل النفس ملتوية ومتشبعة ولا تستسيغ الحق إلا بعد جهد وبعد علاج عسير ،ولا يمكن إزالة ما عنده من ملابسات إلا باستخدام جدل قوي فيه الدليل القاطع والحجّة الصادقة ..." ([2])

أما الصنف الثالث فهو لا يصّدق إلا بالبرهان والقياس وهم النخبة أو الراسخون في العلم.

5.2 إتاحة الفرصة للتفكير والمناقشة : أتاح القرآن الكريم للإنسان مناقشة أمور العقيدة والفقه ، كما فتح له باب الحوار ،ونذكر نماذج من القرآن الكريم تبيّن كيف أن الله عزّ وجلّ علّم النّاس كيفية محاورة الآخرين سواء كان هذا الآخر من الذين يجادلون مكابرة أم عنادا أم تفقها أم اطمئنانا ، كل على حسب نيّته ،فيقول لإبراهيم عليه السلام حينما طلب منه كيفية إحياء الموتى بنيّة الاطمئنان ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة البقرة : الآية : 35-36]

و أجاب الصنف المعاند المكابر المجاحد من أمثال فرعون الذي ادعّى الربوبية وقال أنا ربكم الأعلى ، فمن ربكما يا موسى أجابه على لسان سيدنا موسى عليه السلام ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [سورة طه : الآية : 08]

3. محمد التومي ، الجدل في القرآن الكريم ، فعالية في بناء العقلية الإسلامية ، شركة الشهاب للنشر والتوزيع ، باب الواد ، الجزائر ، 1980 ، ص : 241.

4. المرجع نفسه ، ص : 242.

ورد ابن القيم الجوزية على من قال بخلو القرآن من كلّ حجة بقوله: "ويظن جهال المنطقيين، وفروع اليونان، أن الشريعة خطاب للجمهور ولا احتجاج فيها، وأن الأنبياء دعوا الجمهور بطريق الخطابة، والحجج للخواص وهم أهل البيان يعنون أنفسهم، ومن سلك طريقهم وكل هذا من جهلهم بالقرآن، فإن القرآن مملوء بالحجج والبراهين في مسائل التوحيد وإثبات الصنائع والميعاد"([1])
ولأن الحجاج غايته استمالة عقول الآخرين والتأثير فيهم، فهو آلية من آليات البيان لأن" حسن البيان في الكلام على مراتب، فأعلاها مرتبة، ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع، ويسهل على اللسان، وتتقبله النفس تقبل البرد، وحّتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حّقه من المرتبة". ([2])
فالخطاب القرآني خطاب حجاجي يقتضي الإقناع والتأثير ، فهو يصل إلى الجميع وينفعهم بما فيه من الأدلة والمناهج العقلية، قال أبو حامد الغزالي في هذا":أدلة القرآن كالماء الذي ينفع به الصبي، والرضيع والرجل القوي، وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الأقوياء مرة، ويمرضون بها أخرى، ولا ينتفع بها الصبيان أصلا"([3])

3 بيان الوظائف الحجاجية للبلاغة القرآنية في سورة إبراهيم – عليه السلام–

1.3 من خلال الصور البيانية :

أ– المجاز العقلي :

هذا الضرب من المجاز كما وصفه إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني بأنه " كنز من كنوز البلاغة ، ومادة الشاعر المفلق والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان والاتساع في طرق البنان " ([4]) في تقريب المعاني إلى أذهان السامعين هذا الوصف المذكور في الإبداع والبيان في كلام المخلوق ، فكيف به إذا كان هذا النوع من الفن قد ورد في كلام الخالق عز وجل ومن أمثلة المجاز العقلي في سورة إبراهيم ، نذكر قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴾ [سورة إبراهيم ، الآية: 03]

فقد وصف الضلال بالبعيد ،وإنما البعيد هم الضالون أي ضلالا بعدوا به عن الحق فأسند البعد إلى سببه ،وبذلك يكون المجاز عقليا علاقته السببية.

و قد جاء هذا المجاز العقلي ليقوي الحجة بأن من يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة أي أنهم يقدمونها ويؤثرونها عليها ويعملون للدنيا ونسوا الآخرة وتركوها وراء ظهورهم ،فإن مصيرهم حتما هو الجهل والضلال البعيد عن الحق ([5]).

---

5. ابن القيم الجوزية، مفتاح السعادة، ج1 ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 2005، ص220.
6. أبو الحسن الرماني المعتزلي، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، مصر، دار المعارف، مصر، ط 2، 1968.ص107.
7. أبو حامد الغزالي إلجام العوام من علم الكلام تصحيح وتعليق محمد المعتصم بالله، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1 ، 1985 م، ص81 .
8. عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ت: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان، ط1، 2001 ، ص : 193.
9. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير ابن كثير ، ت: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت، ط1 ، 1419 هـ ،1998م ،ص: 04.

و في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [سورة إبراهيم ، الآية : 04] مجاز عقلي علاقته المكانية فاللسان : اللغة وما به يتم التخاطب ،أطلق على اللغة اللسان من إطلاق المحل على الحال به ،مثل قولنا سال الوادي ، فالوادي لا يسيل وإنما الماء هو الذي يسيل ،وقد جاء هذا المجاز العقلي لتقوية الحجة كذلك ،وذلك في أن الله تعالى من اجل أن يكون لطيفا بخلقه ،فإنه أرسل إليهم رسلا منهم بلغتهم ليفهموا عنهم ما يريدون ،وما أرسلوا به إليهم.

و تفسير قوله تعالى : ﴿ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ ﴾ بأن البيان وإقامة الحجة يعد عليهم فيضل الله من يشاء عن وجه الهدى ،ويهدي من يشاء إلى الحق ،وهو العزيز الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن " الحكيم " في أفعاله فيضل من يستحق الإضلال ويهدي من هو أهل لذلك ،وقد كانت هذه سنته في خلقه ليقيم عليهم الحجة يوم القيامة أي أنه ما بعث نبيا في أمة إلا أن يكون بلغتهم ،فاختص كل نبي بإبلاغ رسالته إلى أمته دون غيرهم .([1])

و فيقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴾[سورة إبراهيم ، الآية : 05]،فقد عبر العرب عن الشدة باليوم ،ووجهه أن العرب تتجوز بنسبة الحدث إلى الزمان مجازا فتضفيه عليه .

و هذا المجاز كذلك جاء ليؤكد حجة كتاب الله بأنه كتاب جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور فقول الله تعالى يدل على أنه كما أرسلناك يا محمد وأنزلنا عليك الكتاب لتخرج الناس كلهم وتدعوهم إلى الخروج من ظلمات الجهل إلى النور ،أرسلنا موسى كذلك إلى بني إسرائيل ليدعوهم إلى الخير وإلى ما فيهم صلاحهم ليخرجوا من ظلمات ما كانوا فيه من الضلال و الجهل إلى نور الهدى وبصيرة الإيمان.

و مما زاد في قوة الحجة هو قوله تعالى : ﴿ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِۚ ﴾ أي ذكرهم بنعمه عليهم في إخراجه إياهم من أسر فرعون وقهره وظلمه ،وفلقه لهم البحر ،وإلى غير ذلك من النعم

أما في قوله تعالى : ﴿ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴾ فهنا كذلك حجة أخرى من حجج الله تعالى في خلقه أي إن في ما صنعنا بأوليائنا ببني إسرائيل حين أنقذناهم من يد فرعون وأنجيناهم مما كونوا فيه ،عبرة لكل صبار شكور .([2])

ونجد قوله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴾[سورة إبراهيم : الآية **18**]مجاز عقلي تمثل في إسناد العصف لليوم ،حيث شبهت صنائعهم الحميدة ،وما كانوا ينتدبون له من إغاثة الملهوف ،وعتق الرقاب وفك العاني ،وافتداء الأسرى ،وعقر الإبل

10. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير ابن كثير ، المرجع السابق ، ص04.
11. المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

للأضياف في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير أساس من معرفة الله والإيمان ،برماد طيرته الريح في اليوم الذي أسند فيه إليه العصف ([1])

و هو مجاز جاء كذلك ليدعم حجة الله تعالى عن طريق هذا المثل الذي ضربه الله تعالى لأعمال الكفار الذين عبدوا معه غيره،وكذبوا رسله وبنو أعمالهم على غير أساس صحيح فانهارت ،أي أن أعمالهم كرماد الذي اشتدت به الريح العاصفة فلم تبقي منه شيء.

و قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴾ أي أن كسل سعيهم وأعمالهم التي كانت من غير أساس واستقامة جعلتهم يفقدون ثوابهم وجعلت مصيرهم هو الضلال البعيد . ([2])

وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[سورة إبراهيم ، الآية : 24] فكلمة (البوار) مجاز عقلي تحقق بإسناد الفعل إليهم فالله سبحانه وتعالى هو الذي يحل القوم ،وقد جاء هذا المجاز العقلي كذلك لإقامة الحجة وتقويتها وذلك في أن الله بعث محمد صلى الله عليه وآله وصحبة وسلم رحمة للعالمين ،ونعمة للناس ،فمن قبلها وقام بشكرها دخل الجنة ،ومن ردها وكفر بها ، دخل النار ،وهذا هو مصير كفار قريش الذين بدلوا نعمة الله كفرا فكان مصيرهم الهلاك والبوار ،ودار البوار هي جهنم .

ب- المجاز المرسل :

يعنى به أن العلاقة بين المعنيين أمسر غير المشابهة ، كما في سورة إبراهيم ومن أمثلة المجاز المرسل في سورة إبراهيم نذكر قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾[سورة إبراهيم : الآية : 12]

و المراد بالمتوكلين في الآية المؤمنون والتعبير عنهم بذلك لسبق اتصافهم به في الآية السابقة ،أو أن هذا من باب المجاز المرسل بعلاقة ما سيكون أي (فليتوكل المتوكلون).

و سر التعبير بالمجاز هنا هو شدة الرغبة في التوكل على الله وبه يكمل إيمان المؤمن ويعز جانبه ،ولأن التوكل على الله سيستلزم الإيمان به والكفر لا يستلزم. ([3])

وهذا المجاز المرسل جاء كدليل وحجة تؤكد أن الله تعالى هو وحده الذي يثبت المتوكلين عليه على توكلهم ،وليحتملوا كل أذى في جهادهم ولا يبالون بما يصيبهم من أذى ولا بما يلاقون من صعاب وعقبات أي عليهم أن يتوكلوا على الله تعالى في جميع أمورهم.([1])

---

12. محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه ، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دار بن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ، ج13، ، ط3 ، 1412هـ، 1992م ، ص161.

13. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير ابن كثير ، ص 09.

14. عادل أحمد صابر الرويني ، تأملات في سورة إبراهيم تفسير بلاغي تطبيقي ، المجلس الوطني للإعلام بدولة الإمارات ، دبي ط1، 1434هـ /2013م،ص116.

وإذا تأملنا قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة إبراهيم : الآية : 13] ، فإننا ندرك أن إطلاق صفة الجمع في (رسلهم) على الواو مجاز مرسل إذ روعي فيه التعمية فعلاقة الإطلاق والتقيد والعدول عن الحقيقة إليه لقصد التعمية والرسل في هذا المحل مستعمل في الواحد مجازا والمراد به محمد صلى الله عليه وآله وصحبة وسلم .

و في هذا المثال يخبر الله تعالى عما توعدت به الأمم الكافرة رسلهم من إخراج من أرضهم والنفي ، لكن الله تعالى في المقابل أوحى لعباده الصالحين أنه سيهلك الظالمين وينجي الصالحين ،فكان من صنعه تعالى أنه أظهر رسوله ونصره وجعل له بسبب خروجه من مكة أنصارا وأعوانا وجندا يقاتلون في سبيل الله وهذا كله تقوية للحجة بأن الله مع عباده الصالحين وناصر لكل الضعفاء

أما في قوله تعالى : ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴾[سورة إبراهيم : الآية : 14] ،أي وعيدي هذا لمن يخاف مقامي بين يدي يوم القيامة ، وخشي من وعيدي وتخويفي وعذابي.([2])

وفي قوله تعالى : ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ [سورة إبراهيم ، الآية : 44]فالتأخير مستعمل في الإعادة إلى الحياة الدنيا مجازا مرسلا بعلاقة الأول ، وإن حمل على عذاب الدنيا ، فالمعنى أن المشركين يقولون ذلك حين يرون ابتداء العذاب فيهم ، فالتأخير على هذا حقيقة فهذا المجاز جاء ليؤكد مصير من يكفر بآيات الله ورسله ، وهذا ما يؤكد على شدة عذاب المولى عز وجل ومصير كل من كافر . ([3])

ج. التشبيه التمثيلي أو الصور التمثيلية :

– هو نوع من المجاز يختصر الكلام به ، وقياسه " في ذلك إثبات المعنى دون المعنى نفسه ... وغالبا ما يكون في إثبات معاني الكل لمن تثبت له ويخبر بها عنه " ([4])

و سنكتفي بذكر مثال واحد عن التشبيه ونفصل في شرحه من خلال قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾[سورة إبراهيم : الآيات : 24-25-26]

هذا النوع من التشبيه ووجه الشبه فيه منتزع من متعدد يكون صورة تمثيلية " تقدم لنا– عادة– نوعا من التشخيص الحي لموقف أو تجربة ما ،وهي كما يفهم من اسمها بأسلوب العرض أي بالحركة التي تنطوي على فاعلية درامية بما تثيره من فعل ورد فعل " ([1])

15. أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي،ج1، مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط1، 1365 هـ - 1946 م ، ص05.
16. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير ابن كثير ،ص07.
17. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير ابن كثير ،ص22.
18. عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص 52.

فقد احتوت هذه الصورة التمثيلية على تشبيه مرسل مجمل في قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾، فقد شبه الكلمة التي هي بنت الشفة ومع جمودها ،فإذا لفظت بما فيه الخير والإصلاح والطيبة ،فإنها تكون كالشجرة المثمرة اليانعة التي ينعم بها من يأكلها ،فهي تشبه الكلمة الطيبة التي ينعم بها قائلها وسامعها ،وفي الوقت ذاته جاءت الصورة منعكسة تماما مع الكلمة الخبيثة وما يترتب عليها من تفاقم المآسي وسما تجره من الويلات بدء من نطقها وانتهاء بسامعها وما تتركه من نتائج كمصدرها الخبيث ،فهي تشبه الشجرة الخبيثة مع أن الخباثة ليست من صفات الأشجار ،فجاء المثل مجسدا الصورة بأقوى تعبير أناني يمتاز به البشر ألا وهو الخباثة.

كما أن الكلمة لا تعقل وصاحبها هو الذي يعقل وهو المسئول عنها وعن نتائجها ،فالشجرة الخبيثة مجازا كذلك فإنه لا ذنب لها ،فقد يكون زارعها لم يحسن اختيار تربتها ، ولم يبذل الجهد المطلوب في توفير ما تحتاج إليه من متطلبات الزراعة فجاءت النتيجة سلبية أيضا ،فمصدر السلب لم يثمر إلا السلب ومصدر الإيجاب لم يثمر إلا الإيجاب ، ما أجملها من صورة امتازت بقوة التعبير ودقة اختيار الألفاظ القوية التي تحمل التحريض والشدة من جهة والتأمل والتفكير من جهة أخرى.

و قد تكون النتائج إيجابية للسامع والمتأمل إذا ما قارن طرفي الصورتين وخرج بصورة بهية مشتملة على نعيم الدنيا وثواب الآخرة .

و بهذا قد يكون تحقيق الترغيب والترهيب في آن واحد برسم هذه الصورة المألوفة التي بإمكان كل إنسان أن يتأمل بها ويفكر ،وينتج ذلك التفكير ثمرة يافعة مصدرها التعبير القرآني المعجز .

و منه فإن هذا التشبيه جاء كحجة قوية ومجلية تبين لنا قيمة الكلمة الطيبة وثوابها عند الله تعالى وفي المقابل لتبين لنا كذلك الكلمة الخبيثة وما ينجر عنها من آثام .

أما في قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾[سورة إبراهيم : الآية :**28**]،فهذا مثل كفر الكافر لا أصل له ولا ثبات يشبه شجرة الحنظل ،وهي مثل الكلمة الخبيثة التي لا أصل لها ولا ثبات ن كذلك الكفر سلا أصل له ولا فرع ،ولا يصعد للكافر عمل ولا ينتقل منه شيء ([2]) ،لذلك جاء هذا التشبيه أبلغ حجة وأوضح معنا لتضمنه هاته المعاني البليغة والصور الموحية.

ففي قوله تعالى " ﴿ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ مثل شهادة أن لا إله إلا الله ، و﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ وهو المؤمن ، و﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾ بقول لا إله إلا الله في قلب المؤمن ، و﴿ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ يقول يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء ، وأن المؤمن كشجرة من النخل لا يزال يرفع شله عمل صالح شفي كل حين ووقت وصباح ومساء.

د. الكنايـة : ويقصد بها " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ،فلا يذكره بالفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود ،فيومئ إليه ويجعله دليلا عليه " ([3]).

---

19. وليد منير ، النص القرآني من الجملة إلى العالم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 1997 ، ص69.
20. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير ابن كثير ،ص 21.
21. عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص51.

و من أمثلة الكناية في سورة إبراهيم نذكر قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾[سورة إبراهيم:الآية:09]

فرد الأيادي وعض الأنامل وحرق الإرم كناية عن الغيظ والضجر عند حدوث ما لا تهواه الأنفس وتريده ، وهذا من أقوى الأقوال التي قيلت في تفسير هذه الآية.

وجاءت هذه الكناية لتؤكد لنا ندم الكفار الذين عضوا بنان الندم غيظا لما جاء به الرسل ،وضجر لنفرتهم من استماع لكلامهم ،إذ سفهوا أحلامهم وشتموا أصنامهم ، بعد رما جاؤوا به من المعجزات الظاهرة والبينات الباهرة ،وبين كل رسول لأمته طريق الحق وأقام فيها الرسل الحجة على أممهم ([1]).

و في قوله تعالى : ﴿.. إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا.. ﴾ [سورة إبراهيم : الآية : 10]كناية عن صفة ،وهي نفي الرسالات ،لأن الرسالة حسب اعتقاد هؤلاء الكفار تنافي البشرية ولا تتلاقى معها ،وكان من الممكن أن يقولوا ما أنتم إلا بشر ولكنهم زادوا (مثلنا) لتأكيد ما أرادوا من نفي اختصاص الرسل بشيء قاهر ،فكأنهم قالوا : مادمتم بشرا مثلنا تشاركوننا في البشرية فما وجه تخصيصكم بالرسالة دوننا. ([2]).

أي كيف نتبعكم بمجرد قولكم ولما نرى منكم معجزة ، فلا فضل لكم علينا ،فلم خصصتم بالنبوة أأطلعكم الله على الغيب ،وجعلكم مخالطين لزمرة الملائكة دوننا ،ولو كان الأمر كما تدعون لوجب أن تخالفون في الحاجة إلى الأكل والشرب ومقربة النساء وما شاكل ذلك .

ولو تأملنا قوله تعالى : ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴾[سورة إبراهيم : الآية : 14] وجدناه أبلغ مما لو قيل (خافني) لأن قوله سبحانه ﴿ خَافَ مَقَامِى ﴾ كناية عن نسبة جاءت كحجة ودليل في إثبات الخوف من غضبه سبحانه وتعالى وبيان ذلك أن من خاف مقامه سبحانه وتعالى فإن خوفه منه سبحانه لا شك سيكون أقوى وأبلغ.

إذن فذلكم التمكين والاستخلاف في الأرض ليس محاباة ولا جزافا ،إنما هو سنة الله العادلة ،وذلك الاستخلاف والإسكان لمن خاف مقام الله فلم يتطاول ،ولم يتعالى فخاف وعيده خوفا شديدا ،فحسب حسابه ،واتقى أسبابه ،وغلب خوفه على رجائه ،ولم يفسد في الأرض ،ولم يظلم فهو يستحق الاستخلاف ([3]).

22. أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي،ج1، ص 04.
23. عادل أحمد صابر الرويني، تأملات في سورة إبراهيم تفسير بلاغي تطبيقي ، ص 103-ّ104.
24. عادل أحمد صابر الرويني، تأملات في سورة إبراهيم تفسير بلاغي تطبيقي ، ص121.

ومعنى قوله تعالى : ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾[سورة إبراهيم : الآية : 43]هو معنى لا يرجع إليه أي لا يعود إلى معتاده ،ولا يستطيعون تحويله ، فهي كناية عن هول ما شاهدوه إذ يبقون ناظرين لا تطرف أعينهم

جاءت هذه الكناية كحجة مؤكدة لحالة الناس وخوفهم لكثرة ما هم فيه من الهول ،حيث تبقى أنظارهم ظاهرة شاخصة ،مديمون النظر لا يطرفون لحظة لما يحل به عياذا بالله العظيم من ذلك ،وهذا كله برهان ودليل على ما سيحل بالناس وكيفية قيامهم من قبورهم وعجلتهم إلى قيام الحشر. ([1]).

وفي قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾[سورة إبراهيم : الآية : 47] الآية ظاهرها نهي عن حسبان ذلك ،وهذا النهي كناية عن إثبات وتحقيق عن المنهي عنه في المقام الذي من شأنه أن يثير للناس ظن وقوع المنهي عنه لقوة الأسباب المثيرة لذلك وذلك أن إمهالهم وتأخير عقوبتهم يشبه حال الغافل عن أعمالهم أي تحقق أن الله ليس بغافل ،وهي كناية ثانية عن لازم عدم الغفلة وهو المؤاخذة.

فقد وردت في الآية كناية بمرتين ،ذلك لأن النهي عن الشيء يؤذن بأن المنهي عنه بحيث يلتبس به المخاطب ،فنهيه عنه تحذير من التلبس بقطع النظر عن تقدير تلبس المخاطب بذلك الحسبان وعلى هذا الاستعمال جاءت الآية سواء جعلنا الخطاب لكل من يصح أن يخاطب فيدخل فيه النبي صلى الله عليه وآله وصحبة وسلم أم جعلناه للنبي ابتداء ويدخل فيه أمته .

هذه الكناية كذلك جاءت كحجة تقرر وعد الله تعالى وتؤكد نصرته عز وجل لرسلهم عليهم الصلاة والسلام سفي الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، كما أكدت هذه الكناية على أن الله تعالى ذو عزة لا يمتنع عنه شيء أراده ولا يغالب ،وذو انتقام ممن كفر به. ([2]).

هـ. الاستعارة: إن الاستعارة هي مجاز لغوي علاقته المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي أو هي تشبيه حذف أحد طرفيه وذكر الآخر ،فالمتكلم يستعير لفظ المشبه به ليستعمله للدلالة على المشبه ثم يرجعه إلى مجاله الأصلي ([3]).

وخير ما يمثل هذا في سورة إبراهيم عليه السلام نذكر قوله تعالى : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [سورة إبراهيم : الآية : 1]

ففي هذه الآية استعارتان تصريحيتان :

الأولى : استعارة كلمة (الظلمات) للدلالة بها على الكفر والجهل بعناصر القاعدة الإيمانية ،والجهل بمفاهيم الإسلام وشرائعه وأحكامه ومنهاج الله للناس وأصلها تشبيه الجهل بهذه الأمور الجليلة الهادية للعقول والقلوب بالظلمات.

25. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير ابن كثير ،ص22.
26. المرجع نفسه، ص23 .
27. المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

و الثانية : استعارة كلمة النور للدلالة بها على الإيمان والعلم بعناصر القاعدة الإيمانية ،وبمفاهيم الإسلام وشرائعه وأحكامه ومنهاج لله للناس وأصلها تشبيه الإيمان بعد العلم بهذه الأمور الجليلة الهادية للعقول والقلوب بالنور .

و القرائن اللفظية والفكرية تدل على المراد من الكلمتين ش، فكل منها مستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح به التخاطب ،وعلاقته المشابهة ،لم يذكر سفي اللفظ وجه الشبه ولا أداة التشبيه ولا لفظ المشبه ، فالاستعمال جار على طريقة الاستعارة التصريحية ([1]).

و تكمن حجاجية هذه الاستعارة في أنها جاءت لتبين لنا أن القرآن الكريم جاء لينقذ الناس من ظلمات الضلالة والكفر إلى نور الإيمان وضيائه ،وتبصر به أهل الجهل والعمى ،سبل الرشاد والهدى ،بما اشتمل عليه من واضح الآيات البينات المرشدة إلى النظر في حقائق الكون الدالة على وحدانية الله تعالى ،وأنه لا شريك له وأنه الواجب عبادته وحده ،ثم دعاؤه لجلب النفع وكشف الضر ،وفيها أيضا سعادة البشر وصلاحهم في الدنيا والآخرة. ([2]).

ومن الأمثلة قوله تعالى : ﴿ ....إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[سورة إبراهيم : الآية : 22] ، أي إني جحدت اليوم أن أكون شريكا لله فيما أشركتموني فيه من قبل هذا اليوم أي في الدنيا فهذه استعاره تصريحية تبعية حيث شبه الطاعة بالإشراك وأنزلها منزلته،والمعنى إني كفرت بما كان من إشراككم إياي مع الله في الطاعة ،ومعنى إشراكه الشيطان بالله : طاعتهم له في ما كان يزينه لهم من عبادة الأوثان وتكذيب الرسل وفعل المعاصي وغيرها ودلت هذه الاستعارة على شدة تبرئه من إشراكهم إياه في الطاعة واستنكاره له ([3]).

ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى : ﴿ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[سورة إبراهيم : الآية : 37]

قال الشريف الرضي "وهذه من محاسن الاستعارة حقيقة الهوي النزول من علو إلى انخفاض كالهبوط والمراد تسرع إليهم شوقا وتطير إليهم حبا ،ولو قال : نحن إليهم لم يكن فيه من الفائدة ما في التعبير (تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ) لأن الحنين قد يكون من المقام بالمكان"([4]).

فرسمت الصورة المستعارة قلوب الناس بالشيء الذي يسقط فجأة من دون إرادة بقوة (الجعل) الإلهية ، فحذفت الشيء الذي يسقط وبقي متعلقه الذي هو الهوي والمراد به السرعة وقوة الجذب لذلك المقام ،فهي أقوى وأكثر دلالة من لفظ الحنين الذي قد يتسم بالبطء ،أو قد يكون بعد معاشرة ومؤالفة يترتب عليها ذلك الحنين ،فجاءت هذه الاستعارة موضحة الدلالة في هذا السياق القرآني.

28. عبد الرحمان حسن حنبكة ، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، ج1، مج2 ، 1993، ص246- 247 .
29. أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي،ج1، ص02.
30. عادل أحمد صابر الرويني ، تأملات في سورة إبراهيم تفسير بلاغي تطبيقي ، ص156.
31. الشريف الرضي الشريف الرضي ، تلخيص البيان في مجازات القرآن ، مطبعة المعارف، د ط ، بغداد ،1327 هـ،1955م. ص184.

ومن الأمثلة قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾[سورة إبراهيم : الآية : 46] نجد استعارة تمثيلية جاءت كدليل يثبت شدة مكر أهل الكفر ومتانته عظمته وافتنانهم فيه وبلوغهم الغاية منه ،حتى استحال إلى كونه مهيئا لإزالة الجبال الشم الرواسي عن أماكنها لكونه مثلا في ذلك ([1]).

فحجاجية هذه الاستعارة تكمن في تحقير شأن مكر الكفار ،وأنه ما كان لتزول منه الآيات والنبوات الثابتة ثبوت الجبال ،فليس بمزيل شيئا منها مهما قوى ،وكان غاية في المتانة والعظمة ([2]).

و خلاصة القول إن حجاجية هذه الاستعارة تكمن في توضيحها لنا دعاء سيدنا إبراهيم لله عز وجل بأن يجعل قلوب بعض الناس محترقة شوقا إلى ذرية إبراهيم عليه السلام والذين أسكنهم بوادي غير ذي زرع وهو وادي مكة عند البيت الحرام الذي حرم الله التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه ([3]).

ومن هنا نفهم مما ذكره عبد القاهر ،بأن القوة الحجاجية للبيان تجعله "وسيلة أساسية من وسائل الإقناع، ولعل في اختلاف مستويات التلقي ما يؤكد هذه الصفة الحجاجية للخطاب البلاغي،وذلك يجعل أي قول مدعم صالحا أو مقبولا بمختلف الوسائل،ومن خلال مختلف الصيغ اللغوية، على اعتبار أن هذه الصيغ هي أفعال كلام تمارس وظيفة التأثير من خلال قوتها الكلامية التي تتجلى بدورها من خلال طرائق منطقية في البناء وترابط العلاقات الاستدلالية التي يمثل الحجاج أبرز مظاهرها"([4]).

و كأن عبد القاهر الجرجاني يبيّن بأن للبلاغة وظائفاً متعددةً لا نستطيع أن نحصرها فقط في الجانب الجمالي التزييني ،و إنما جعلها تتسع لتشمل الجانب الحجاجي و غيره حتى يقول :"إن كان مدحًا كان أبهى وأفخم ، وأنبل في النفوس وأعظم ، وأهزّ للعطف ،وأسرع للإلف ، وأجلب للفرح وأغلب على الممتدح ، وأوجب شفاعة للمادح ،وأقضى له بغُرّ المواهب و المنائح ،وأَسْيَر على الألسن وأذكر ،وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر".([5])

فالاستعارة عند الجرجاني هي ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب وتدركه العقول، وتستفتي فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والآذان. ([6])

فالاستعارة تعد وسيلة هامة من وسائل التأثير والحجاج، لما لها من قدرة في التصوير، وقيامها على التناسب مع مقتضيات السياق، فهي تعد من أبلغ الصور وأقوى الآليات البلاغية تعبيرا عن الواقع،وهذا ما جعلها أداة بلاغية حجاجية قوية ...ووسيلة لغوية

32. عادل أحمد صابر الرويني ، تأملات في سورة إبراهيم تفسير بلاغي تطبيقي ، ص232.
33. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير ابن كثير ، ص15.
34. أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي،ج1، ص33.
35. عبد السلام عشير،:إشكالات التواصل والحجاج، مقاربة تداولية معرفية"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة، المغرب، 2000، ص69.
36. عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق السيد محمد رشيد رضا،دار المعرفة،بيروت-لبنان،ط1، 2002م، ص 97.
37. المرجع نفسه، ص14 .

يستغلها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية، بل إنها من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جدا، ما دمنا نسلم بفرضية الطابع المجازي للغة الطبيعية. ([1])

هذا الدور الفعال للاستعارة جعل البلاغيين الجدد يعتبرونها من أخطر الوسائل الحجاجية، لما لها من طاقة وقدرة على استمالة المتلقي وإقناعه،فهي أصبحت مقوما حجاجيا بل برهانيا لا غنى عنه في مجال الإنسانيات، واحتلت مكانا مرموقا منه. ([2])

فحجاجية الاستعارة إذن تعني أن لها وظيفة مركبة يرتبط فيها العقل بالإحساس والفكري بالنفسي. ([3])

والاستعارة في القرآن الكريم هي استعارة حجاجية،لأنها من الأدوات المفضلة إليه في التعبير عن معانيه([4]) ،ودعوة مخاطبيه إلى الاقتناع والتصديق بما جاء فيه، فالخطاب القرآني يعمد إلى هذه الصورة التي رسمها فيعطيها ألوانها وظلالها، ثم لا يلبث بعد ذلك أن يضيف إليها الحركة فالحوار،فإذا هي شاخصة تسعى. ([5])

ومن خلال ما سبق تبرز لنا أهمية الاستعارة في الكلام، وحجاجيتها وفضلها في إبراز المعاني والكشف عنها، وقيمتها وبلاغتها في الإقناع، وقد حاول عبد القاهر الجرجاني أن يجمع الأغراض التي تحققها الاستعارة المفيدة قائلا: " من الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبدا في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا، وتوجب له بعد الفضل فضلا، ومن خصائصها التي تذكر بها، وهي عنوان مناقبها أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ...فإنك لترى بها الجماد حيا ناطقا، والأعجم فصيحا، والأجسام الخرسة المبينة، والمعاني الخفية بادية جلية .. إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون"([6])

وتكتسب الاستعارة تأثيرها في المخاطب وتثير انتباهه بغرابة تصويرها للمعنى،وبعدها في التعبير عن العادي والمألوف ([7])،وهذا حاصل في هذه الصورة الاستعارية.

2.3 من خلال المحسنات البديعية:

يستعمل المرسل أشكالا لغوية تصنف بأنها أشكال تنتمي إلى المستوى البديعي، وأن دورها يقف عند الوظيفة الشكلية، وهذا الرأي ليس صحيحا، إذ أن لها دورا حجاجيا لا على سبيل زخرفة الخطاب، ولكن بهدف الإقناع، والبلوغ مبلغه الأبعد، حتى لو تخيل

38. عبد الهادي بن ظافر الشهري :استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، بيروت ، لبنان، ط1 ، 1998م ، ص946-467 .
39. محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، منشورات دار الأمان، ط1 ا، الرباط، المغرب، 2005 م، ص458
40. حسن المودن ، حجاجية المجاز والاستعارة، مقال ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته،دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج 3،عالم الكتاب الحديث ، عمان ، الأردن، ،ط1، 2013، ص211
41. عبد العزيز بن صالح العمار :التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن، دراسة بلاغية تحليلية، المجلس الوطني للإعلام، الإمارات، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، دبي، ط1، 1428 هـ/2007 م، ص 67
42. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، لبنان ، ط11 ، 1985 م، ص 197.
43. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق :عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، ط1 ، 2001م، ص33 .
44. إيمان درنوني، الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء نموذجاً، أطروحة ماجستير، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2013 ،ص78.

الناس غير ذلك، والبلاغة العربية مليئة بهذه الصور والإمكانات، ومليئة بالشواهد التي تثبت أن الحجاج من وظائفها الرئيسية.وليس وجودها على سبيل الصنعة في أصلها، وإن كان لا يمنع المرسل من أن يبدع كيفما شاء. ([1])

إن المحسنات البديعية– إذن –يمكن لها أن تؤدي وظيفة حجاجية وفي هذا الشأن يقول صابر الحباشة:"إن محسنا لهو حجاجي إذا كان استعماله، وهو يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر، يبدو معتادا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة، وعلى العكس من ذلك فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب، فإن المحسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة، أي باعتباره محسن أسلوب، ويعود ذلك إلى تقصيره على أداء دور الإقناع"([2])

إذن هناك نوعان من المحسنات، محسنات تزيينية زخرفية متعلقة بالأسلوب، وهناك محسنات حجاجية متعلقة بالإقناع، وهو ما سنحاول الوقوف عليه من خلال المحسن البديعي المعنوي الطباق .

الطبـاق : هو أن يجمع بين متضادين مع مراعاة التقابل كالبياض والسواد والليل والنهار ([3]).

ومن أمثلة الطباق في سورة إبراهيم نذكر قوله تعالى : ﴿ فَيُضِلُّ... وَيَهْدِي ﴾ من الآية ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[سورة إبراهيم ، الآية : 04]

حيث يقول صاحب الكشاف ﴿ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ ﴾كقوله تعالى : ﴿ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[سورة التغابن ، الآية : 02]

لأن الله لا يضل إلا من يعلم أنه لن يؤمن ولا يهدي إلا من يعلم أنه يؤمن والمراد بالإضلال التخلية ومنع الألطاف، وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والإيمان ([4]) .

جاء هذا الطباق ليؤكد لطف الله تعالى بعباده ، فالله عز وجل لم يبعث نبيا إلا بلغة قومه ،أي أنه بعد البيان وإقامة الحجة عليهم يضل الله من يشاء عن وجه الهدى ويهدي من يشاء إلى الحق ،أي أنه يضل من يستحق الإضلال ويهدي من هو أهل لذلك ،وقد كانت هذه سنته في خلقه ،فالله تعالى لم يبعث نبيا في أمته إلا أن يكون بلغتهم ،فاختص كل نبي بإبلاغ رسالته إلى أمته دون غيرها.

45. عبد الهادي بن ظافر الشهري :استراتيجيات الخطاب ، ص 498.
46. صابر الحباشة، التداولية والحجاج ومداخل ونصوص، صفحات للطباعة والنشر،دمشق ، سورية، ط1، 2008، ص 51.
47. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير ابن كثير ، ص15.
48. محمود بن عمر الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، ت خليل مامون شيحا، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان ، ط3، 1407هـ/ 2009م، ص206.

وخلاصة القول إن هذا الطباق تمثلت حجاجيته في أن الناس فريقان ،فريق هداه الله وأضاء نور قلبه وشرح صدره للإسلام فاتبع سبيل الرشاد وفريق رانت على قلبه الغواية والضلالة بما اجترح من الآثام وأوغل فيه من المعاصي والذنوب ،وذلك كله بتقديره تعالى ومشيئته ،لا راد لقضائه ولا دافع لحكمه . ([1]).

ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ شَكَرْتُمْ ... كَفَرْتُمْ ﴾ من الآية ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [سورة إبراهيم ، الآية : 07]

جاء هذا الطباق ليؤكد حجة الله تعالى على خلقه أي أن الله تعالى أوحى لعباده لئن شكرتم ما خولتكم من نعمة الإنجاء وغيرها بطاعتي في ما آمركم به وأنهاكم عنه لأزيدنكم من نعمي عليكم ،لأن النعم إن استعملت فيما خلقت له بقيت وإن أهملت ذهبت ،فمن شكر الله على ملا رزقه وسع عليه في رزقه ،ومن شكره على ما أقدر عليه من طاعته ،زاد في طاعته

و في المقابل أكد كذلك هذا الطباق وعد الله تعالى لمن كفروا بهذه النعم وجحدوها ولم يقوموا بواجب حقها عليهم ، من شكر للمنعم بها فمصيرهم سهو الحرمان من هذه النعم في الدنيا والآخرة ،فيعذبون في الدنيا بزوالها وفي الآخرة بعذاب لا قبل لهم به ([2]).

والمتأمل في قوله تعالى : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكُم... لَتَعُودُنَّ ﴾ من الآية ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾[سورة إبراهيم ، الآية : 13]فالإخراج ضد في معناه للعودة يجد أن هذا الطباق قد جاء كذلك ليبين لنا ما كان يعانيه أنبياؤنا عليهم الصلاة والسلام من طرف أقوامهم الذين كفروا بالله تعالى حين دعوهم إلى توحيده تعالى ،وترك عبادة الأصنام والأوثان ،حيث توعدوهم بأن يخرجوهم من بلادهم إن لم يعودوا إلى ملة الآباء والأجداد وهي عبادة الأوثان ([3]).

كما جاء الطباق في قوله تعالى : ﴿ أَصْلُهَا ... وَفَرْعُهَا ﴾ من الآية ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾[سورة إبراهيم ، الآية : 24]ليقوي الحجة بأن الكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة التي لها أصل راسخ في الأرض به يؤمن قلعها وزوالها فيكون ذلك دليلا على ثبات الأصل ورسوخ العروق ،وعلى بعدها من عفونات الأرض فتأتي الثمرة نقية خالية من جميع الشوائب في حين نجد الكلمة الخبيثة ليس لها أصل ثابت في الأرض ،بل عروقها لا تتجاوز سطحها ، وقد اقتلعت من فوق الأرض لأن عروقها قريبة منه أولا عروق لها في الأرض ،فكما أن هذه لا ثبات لها ولا دوام فكذلك الباطل لا يدوم ولا يثبت ،بل هو زائل ذاهب ، وثمره مر كريه كالحنظل . ([4])

49. أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي،ج1، ص 02.
50. أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي،ج1 ،ص03.
51. المرجع نفسه، ص06.
52. المرجع نفسه، ، ص 86.

والمتأمل في ﴿ الدنيا ... الآخرة ﴾ من الآية ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[سورة إبراهيم ، الآية : 27] يدرك معنى أن الدنيا في معناها الذي يدل على بدء مسير حياة الفرد فيها هي ضد في معناها للآخرة التي هي نهاية الحياة الدنيا وبدء الحياة الآخرة

ولهذا تكمن حجاجية هذا الطباق في أنه يؤكد لنا أن الله تعالى يثبت عباده الصالحين بالكلمة الطيبة مدى حياتهم ،إذا وجد من يفتنهم عن دينهم ويحاول زللهم ،كما جرى لبلال وغيره من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وصحبة وسلم ،كما أنه يثبتهم كذلك بعد الموت شفي القبر الذي هو أول منزلة من منازل الآخرة ،و في مواقف القيامة فلا يتلعثمون ولا يضطربون إذا سئلوا عن معتقدهم ولا تدهشهم الأهوال . ([1])

وكذا الشأن في ﴿ سِرّٗا... وَعَلَانِيَةً ﴾ من الآية ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾ [سورة إبراهيم ، الآية : 31]، فالسر الذي هو الخفاء في معناه ضد للإعلان الذي هو الظهور والجلاء .

ولهذا تكمن حجاجية هذا الطباق في تأكيده لما أمر الله تعالى به عباده من أجل خلاص أنفسهم حيث أمرهم بالإنفاق مما رزقهم به في السر أي في الخفية والعلانية أي في الجهر ،قبل أن يأتي يوم القيامة الذي لا تقبل من أحد منهم أشي نفقة أو فدية .

4. خاتمة:

من خلال ما سبق ظهرت لنا الوظيفة الحجاجية للبلاغة القرآنية من خلال سورة إبراهيم عليه السلام ؛ فالصور البيانية في السورة بمختلف أنواعها كانت ذات آثار انفعالية ،أي قابلة لأن تحرك في القارئ مشاعر معينة ،وبالتالي تحمله على تبني قناعة ما وإظهار استعداد للسير في الطريق التي أمرنا الله عز وجل من به ، كما كان للكناية في السورة طاقتها الحجاجية في تركها للذهن مجالا لإقامة علاقات تؤدي في النهاية إلى الإقناع العقلي بالحقيقة التي يريد الله عز وجل إثباتها ،وقد شكلت الاستعارة القرآنية من حيث التركيب المنطقي نوعا من القياس ، كذا التشبيه الحجاجي في سورة إبراهيم لم يكن زينة زخرفية تحسينية ،بل ليزيد المعنى وضوحا فيقتنع به المتلقي ،وذلك لأنّ الصورة التشبيهية أو التمثيلية تتجاسر قوى النفس (الفكر والخيال) في فهمها ،لذلك كان التشبيه أداة ناجحة في الوصول إلى الهدف الإقناعي ،لما يترتب عليه من شغل الباطن ، وشغل الحس الظاهر ، فهي تمتلك النفوس بكل ما فيها من قوى فكرية أو خيالية ،إضافة إلى أن النفس بها آنس ،ولها أميل فتأخذ بالمخاطب إلى فهم حقيقة المعنى المطروح دون عناء،و كان للطباق وظيفته الأساسية في سورة إبراهيم الإفهام والتوضيح، وهي الإفهام والتوضيح، فالأمور تتضح بأضدادها ، فالخطاب القرآني في مفهومه متميز طبعاً عن سائر الخطابات البشرية،فهو يتوجه إلى أصناف متعددة متباينة من المخاطَبين في عصور مختلفة يستهدف إرشادهم جميعاً مراعياً تدرج معانيه حسب الأفهام والعقول.

53. المرجع نفسه ، ص09.

5. قائمة المراجع:

القرآن الكريم.

الكتب:

1. محمد التومي ، الجدل في القرآن الكريم ، فعالية في بناء العقلية الإسلامية ، شركة الشهاب للنشر والتوزيع ، باب الواد ، الجزائر ، 1980.
2. ابن القيم الجوزية، مفتاح السعادة، ج1 ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 2005.
3. أبو الحسن الرماني المعتزلي، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، مصر، دار المعارف، ط 2، 1968.
4. أبو حامد الغزالي إلجام العوام من علم الكلام تصحيح وتعليق محمد المعتصم بالله، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1 ، 1985 م.
5. عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ت: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان، ط1، 2001.
6. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير ابن كثير ، ت: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت، ط1 ، 1419 هـ،1998م.
7. محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه ، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دار بن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ، ج13، ، ط3 ، 1412هـ، 1992م.
8. عادل أحمد صابر الرويني ، تأملات في سورة إبراهيم تفسير بلاغي تطبيقي ، المجلس الوطني للإعلام بدولة الإمارات ، دبي ط1، 1434هـ /2013م.
9. أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي،ج1، مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط1، 1365 هـ - 1946 م .
10. وليد منير ، النص القرآني من الجملة إلى العالم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 1997.
11. عبد الرحمان حسن حنبكة ، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، ج1، مج2 ، 1993.
12. الشريف الرضي ، تلخيص البيان في مجازات القرآن ، مطبعة المعارف، د ط ، بغداد ،1327 هـ،1955م.
13. عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق السيد محمد رشيد رضا،دار المعرفة،بيروت-لبنان،ط1، 2002م.
14. حمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، منشورات دار الأمان، ط1 ا، الرباط، المغرب، 2005 م.
15. حسن المودن ، حجاجية المجاز والاستعارة، مقال ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته،دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج 3،عالم الكتاب الحديث ، عمان ، الأردن، ،ط1، 2013.
16. عبد العزيز بن صالح العمار، التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن، دراسة بلاغية تحليلية، المجلس الوطني للإعلام، الإمارات، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، دبي، ط1، 1428هـ/2007 م.
17. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، لبنان ، ط11 ، 1985 م.
18. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق :عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، ط1 ، 2001م.
19. عبد الهادي بن ظافر الشهري :استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، بيروت ، لبنان، ط1 ، 1998م .
20. صابر الحباشة، التداولية والحجاج ومداخل ونصوص، صفحات للطباعة والنشر،دمشق ، سورية، ط1،2008.
21. محمود بن عمر الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، ت خليل مامون شيحا، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان ، ط3، 1407هـ/ 2009م.

الرسائل العلمية:

1. إيمان درنوني، الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء نموذجاً، أطروحة ماجستير، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر،2013
2. عمر العساكر ، الجدل في القرآن الكريم ، خصائصه ودلالاته ، مذكرة ماجستير ، جامعة الجزائر ، 2004 – 2005.
3. عبد السلام عشير،إشكالات التواصل والحجاج، مقاربة تداولية معرفية"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة، المغرب، 2000.

وسائل الإعلام:

علي سلمان ، النظرية الحجاجية في البلاغة العربية تكاد تكون مفقودة ، صحيفة الوسط البحرينية ، العدد : 2750 ، مارس 2010 .